سلسلة لغز الحضارة المصرية القديمة

مشكلة الحضارة المصرية وأسبابها

بقلم : محمد يونس هاشم

جرافيك : يوسف محمد حسين

دار زهور المعرفة و البركة

هاشم ، محمد يونس

سلسلة لغز الحضارة المصرية القديمة

تأليـــــــف : محمد يونس هاشـم

جرافيـــــك : يوسف محمد حسين

القاهـــــرة : دار زهور المعرفة والبركة

١٨ ص ، ٢٤ × ٢٤ سم

تدمـــــك : ٩٧٨ ٩٧٧ ٥١٧٢ ٩٦٩

١ قصص الأطفال (تاريخية)

٢- العنـــوان : ٩٠٠

رقـــم الإيداع : ٢٠١٨ /١٤٨٩٩

الترقيـــم الدولي: ٩٧٨ - ٩٧٧ - ٥١٧٢ - ٩٦ - ٩

جميع حقوق النشر محفوظة
لدار زهور المعرفة و البركة

فِي مَسَاءِ اَلْجُمّعَةِ وعَلَىٰ كُبْرِي قَصْرِ النِّيلِ كَانَ اللِّقَاءُ .

- قَـالَ د. سَـلِيمُ : هَلْ تَعْلَمُ لِـماذَا جَعَلَ وَالِدُكَ اللِّقَـاءَ عَلَىٰ كُبْرِي قَصْرِ النِّيلِ ؟

- قَالَ د. سَـيدُ وَهَو يَبْتَسِـمُ : مُنْـذُ أَنْ أَشْرَفَ وَالِدِي عَـلَىٰ إِصْلَاحِ وَافْتِتَـاحِ الْكُـبْرِي عَام ١٩٣٣ وَهُو حَرِيـصٌ عَلَىٰ زِيَارَتِـهِ بَينَ اَلْحِينَ وَالآخَرَ .

- وَأَينَ وَالِدُكَ ؟

- إِنّـهُ يَعْتَذِرُ لَـكَ فَقَدْ اتَّصَـلَ بِهِ مُحَمْدُ بَاشَـا مَحْمُـودِ وَذَهَبَ إِلِيهِ لَأَمْرِ مُهِمٍ.

- هَلْ سَيشَـكِّلُ مُحمدُ بَاشَـا مَحمودِ اَلْـوزَارَةَ الْجدِيـدِةَ وَيَخْتَارُ وَالِدَك وَزِيراً كَمَا حَدَثَ قَبْل؟

- لَا أَظُنُّ .

- وَالِـدُكَ وَزِيـرٌ فَنَـيٌّ لَا حِـزْبِيٌّ وَيَكْفِيـهِ مَـا أَنْجَـزَهُ فَفِـي عَهْـدِه تَمَّـتْ تَعْلِيّـةُ خَـزَّان أُسْـوَانَ ، وَإِقَامَـةُ كُورنِيـشِ الْإِسْكَنْدَرِيةِ و...

- وَافتُتـحَ فِي عَهْـدِهِ الْإِذَاعَـةُ الْمصرِيّـةُ ، وشَرِكَـةُ مـصرَ للطـيرَانِ كَـمَا تَـمَّ فِي عَهْـدِه عَمـلُ اتْفَاقِيـةِ مِيـاهِ النّيـلِ وَحِصَّـةِ مصرَ فِيهَا ٥٩ مِلْيَار مِتْر .

- أَبُــوكَ رَجُــلٌ عَظِيمٌ وَهُو خَــيّرُ خَلَفٍ لِخَيّرِ سَــلَفٍ ؛فَهُو حَفِيدُ الْمنَاضِلِ سَــيدَ كَرِيــمَ الذّي حَكَــمَ عَلِيهِ نَابِلْيــون بُونَابَرت مَعَ أَخِيــهِ مُحَمْدِ كَرِيــمَ بِالإعْدَامِ فِي ثَوّرَةِ اَلْإِسْــكَنْدَريّةِ وَسُــجِنَا فِي الْقَلْعَــةِ وَأُعْــدِمَ مُحمــدُ كَرِيــمَ أمّا سَــيد كَرِيمَ فَقَــدْ هَرَّبَهُ السَّجَّانُون .

- قَالَ د. سَــيدُ مَازِحــاً : وَهَلْ تَرَكْــتَ يَا دُكْتُورُ سَــلِيمُ تَارِيخَ مصرَ الْقَدِيمِ وَبَدأْتَ تُدرِّسُ تَارِيخَ مصْرَ الْحَدِيثِ ؟

- أَنَسِــيتُ أَنّ وَالِدَكَ أُسْــتَاذِي وَصَدِيقِي ، وَلَقَدْ حَــكَىٰ لِيّ كَثِيراً عَنْ جدِهِ سَيد كَرِيمَ الذِّي سَمَّاكَ عَلَىٰ اِسْمِهِ .

- دَعْــكَ الْآنَ مِــنْ التّارِيخِ الْحَدِيــثِ ، ولَنُكْمّــلْ حَدِيثَنا عَنْ أَلْغَازِ الْحَضَارِةِ الْمصريّةِ الْقَدِيمةِ .

- أَنَــا أَعْتَقِــدُ أَنّ الْحَاجةَ وَسُــنَّةَ الرُّقِي وَالْبِيئــةَ كَانَتْ الدَّافعُ الْأَكْــبرُ للتّطــوّرِ الذِّي نَجدُهُ سَــائِراً نَحَــو الْكَــمَالِ فِي الْحَيَاةِ الْمصريّــة الْعِلْمِيّــةِ وَالْعمليّةِ عَلَىٰ السَّــواءِ . فَنَشــاهِد أَنّ مَا كَانَت تَحتــاجُ إِليهِ الْبلادُ مِــنْ أَعْمالِ الرَّيِّ الْعَظِيمــةِ وَإِقَامةِ الْمبَــانِي الضَّخْمَــةِ كَالأَهْــرَامِ وَالْمسَــلَاتِ وَالْمعَابــدِ وَقِطعِ التّماثيــلِ الْهائلةِ ، كُلُّ هَـٰــذَا كَانَ يَتطلَّبُ تَعمُّقاً فِي الْمسَــائِلِ الْميكَانِيكِيةِ الْعِلميّةِ ، وَالْهندســيّةِ التّطبِيقِيّــةِ ، ممّا كَانَ لَازَماً لنَقَلِ الْأَثقَــالِ ، وَإِقَامتها فِي أَمَاكِنِهَا الْمخَصصةِ لَهَا . هَـٰــذَا إِلَىٰ أَنّ التَّفَنُّــنَ فِي صِنَاعَــةِ الْمعَــادِنِ ، وَعَملَ الْفُخَــارِ ، وَالزُّجَاجِ الْملونِ ، وَالْقَاشَانِي

قَدْ كَشَــفَ للْمصرِيِّ عَنْ خَوَاصِ الْأَشْــياءِ الطَّبِيعيــةِ وَالْكِيمائِيةِ ممَّا جَعَلَهُ يَنْفَردُ عَنْ بَاقِي الْعَالَم بالنُّبُوغِ فِي الْعِلمِ الذِّي

اشْتَقَّ اسمُه مِنْ كَلمةِ (كَمي) الْمصْرِيّةِ ، وَذٰلِك كَانَ الْمصريُّ أَولَ مَن حَنَّطَ الأَجْسَامَ وَعَرِفَ تَشْرِيحَهَا.

- وَأَنَا لَا أَعْتَقِدُ أَنّ الْحاجةَ وَالرّغْبةَ فِي التَّطَوُّرِ هِي التّي دَفَعَتْ الْمصريَّ الْقَدِيمَ لِإِبْدَاعِ هٰذِه الْعُلومِ وَالْفُنونِ ، يَا دُكتورُ أَلِيسَ عَجِيباً أَنْ تَبدأَ الْحَضَارةُ الْمصرِيّةُ الْقَدِيمةُ مُكْتَملةً مُتطوّرَةً وَلَمْ تَمرّ بِمَرَاحِلِ النُّشوءِ وَالْارْتِقَاءِ وَالتّطوّرِ كَسَائِرِ الْحَضَارَات الْأُخرَىٰ ؟

وَالْمصرِيُّون الْقُدمَاء كَمَا تَعْلمُ قَدْ اِعْترَفُوا أَنْ مَا وَصَلُوا إِلِيهِ مِنْ عُلُومِ وَمَعارفِ إِنَما هِي مِنْ تَعَالِيمِ السَّمَاءِ ، وَالْكُتبِ الْمقدَّسَةِ .

- لَقَدْ نَسبَ الْمصريُّ الْقَديمُ كُلَّ مَا وَصَلَ إِلِيهِ مِنْ عُلومِ ومَعَارفِ إِلَىٰ الإِلَٰهِ تَحوت (إِلٰهُ الْقَمرِ) وبخاصةِ عُلُومُ الْفَلَكِ وَالْحسابِ والطَبِ ، وَلَا غَرَابَةً فَإِنّ الْكَهنةَ كَمَا يُقالُ كَانُوا هُم الْطائفةُ الْمتعلِّمةُ فِي الْبِلَادِ مُنْذُ فَجرِ التَّارِيخِ، وَقَدْ بَقُوا كَذٰلِك طِوَال التَّارِيخِ الْمصرِيِّ ، فَكَانُوا يَنْسبُون كُل مَا هُو مُشرَّف وَكُل مَا هُو عَظِيمٌ لَآلهتِهم ، وَلٰكن كُل ذٰلِك كَانَ مِنْ نَسْجِ خَيالِ هَؤلَاء الطَّائفةِ رَغْم تَبحُّرهُم فِي الْعُلومِ .

- أَنَــا أَخْتَلِفُ مَعَك لَمْ يَكُنْ مِنْ نَسْــجِ خَيالِهــم إِنّمَا هِي الْحَقِيقَــةُ ، فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يَنْشــئ قَــومٌ أَولَ حَضارةٍ عَرَفَها التَّارِيــخُ ، حَضارةٍ معجــزةٍ عَجَزَ الْبَشَرُ أَنْ يَأَتُــوا بِمِثْلها ثُمّ يَنْسِــبونها لِغَيرِهــم ؟! أَتَدرِي أَيــنَ تَكْمُنُ الْمشــكلةُ يا دكتورُ سَــلِيمُ ؟ إِنَّها تَكْمُنُ في أَنَّنا تَرَكْنَــا الْأَجَانِبَ الْغرباءَ عَــنْ دِيننــا وَعَادَاتنــا وَتَقالِيدنــا يُترْجمُون لَنَــا نُصُوصَ الْكِتَابةِ الْهيرُوغلِيفيةِ .

- لَا يَنْبَغِــي أَنْ نُنكــرَ فَضلَ هَــؤلاء الْعُلَماءِ عَــلَىٰ الْحضَارَةِ الْمصريّــةِ الْقَدِيمةِ فَهُم الذّين اِكْتَشَــفُوا حَجرَ رَشِــيدِ وفَكُّوا رُمُوزه ، لَقَدْ ظَلَّ شَامبلِيون نَحو عِشْرِين عَاماً حَتَّىٰ تَمكَّنَ

مِــنْ مَعرفةِ الْخــطِ الْهيروغليفِي وَترجمةِ كَثــيرٍ مِنْ النّصُوصِ المصريّــةِ الْقَديمةِ ، كَــمَا لا يُمْكــنُ أَنْ نُنْكرَ فَضْلَ اَلْأُسْــتَاذ " هِنَرِي بِرِسْــتِد" الذِّي جَمَــعَ كُل المتُونِ التَّاريخيَّةِ وَاَسْــتخلصَ مِنْهَــا تَارِيخاً لمــصرَ يُعْتَبرُ رَغْــم قِدمِهِ مِنْ أَكْــبرِ الْمراجعِ في التَّارِيخَ المــصريِّ الْقَديمِ إِلَىٰ اَلْاحْتلالِ الْفَــارِسِّي ، أَمَّا الْمصريُون فَلَــمْ يَقُومُوا بِدِرَاســةِ لُغةِ بِلَادِهــمْ وَآثَارِهــم إِلَا مُنْذُ عَهْدٍ قَرِيــبٍ وَعَــلَىٰ رَأسِــهم الْمَرْحُــوم أَحْمَــد كَــمَال بَاشَــا . أَنَــا لَا أُنْكر فَضْلَ هَــؤلاء فِي الْحَفْرِ وَالتَّنقِيــبِ وَالْبَحْثِ وَالتَّرجمةِ ، وَلٰـكن الْمشكَلة فِينَا نَحْنُ الذّيــن سِــرْنَا عَلَىٰ

نَهْجِهِـــم وَاكْتَفَينـــا بِتَرْجَمـــة كُتبهـــم وَتَبَنِينَـــا أَفْكَارَهـــم وتَصوراتِهم عَـــنْ الحضارةِ المصريةِ القديمـــةِ ، وَكَانَ أَجْدرُ بِنَا نَحْـــنُ - المصريين - أَحْفَـــادُ المصرِيين الْقُدمـــاءِ أَنْ نَفهمَ عَنْ أَجْدَادِنا مَا لَمْ يَسْتَطَعْ فَهْمَهِ غَيرُنا .

- كَلَامُـــكَ جَمِيـــلٌ وَأَنَـــا مِـــنْ جِهَتِـــي أَجْتَهِـــدُ فِي التَّنقِيبِ وَالْبَحـــثِ وَالتَّرجمـــةِ والتَّأليفِ ، والْبركةِ فِيـــكَ ، وَقَدْ تَعلَّمْت قِـــرَاءةَ الْكتابـــةِ الْهيروغليفيةِ أَنْ تُفَسرَ فَـــمَا عَجَزْنَا نَحْنُ عَنْ تَفْسِيرِه!!

- إِنّ مَا يُؤْخذُ عَـــلَىٰ الْمؤرخِين المصرِيين حَقّاً هُو تَسْـــلِيمهم بالنَّظريـــاتِ الْأَجْنبيَّةِ فِي نَشـــأةِ عَقِيـــدةِ الْبَعـــثِ وَالْخُلودِ وغَضِّهـــم الطَّرْف عمَّا جَـــاءَ فِي الْكُتب السَّـــماويّة مِنْ عَقَائِدَ دِينيَّةٍ .

- يَا سَـيدُ إنّ عُلَمَاءَ الدّين : مُسْـلمين ، وَمسـيحيين ، وَيهودَ يَـكادُون يَجمعُـونَ عَـلَىٰ أَنَّ الْفَرَاعِنَـةَ كَانُوا وَثَنِيـين مَتَألِهـين طُغَاة ، أَلَا تَقَـرَأُ الْقـرآنَ الْكريمَ إنّ جَميـعَ مَا ذَكَـرَ الْقُـرآنُ الكريـمُ الذِّي نُؤمِـن بِه ، وَالإنجيـلُ والتّـوراةُ التّـي يُؤمنُ بِهـا الْغَـربُ تُؤكّدُ هَـٰذا.

يَقُـولُ تَعَـالىٰ {إِنَّ فِرْعَـوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُـمَا كَانُوا خَاطِئِينَ} [القصص:٨] {وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُـمْ مِنْ إِلَهٍ غَـيْرِي فَأَوْقِـدْ لِي يَا هَامَـانُ عَلَى الطِّينِ فَاجْعَـلْ لِي صَرْحًا لَعَـلِّي أَطَّلِـعُ إِلَى إِلَهِ مُـوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ} [القصص:٣٨]

Fفَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى} [النَّازعات:٢٣ ، ٢٤]

وفي التّوراةِ نُصُوصٌ كَثيرةٌ بِنَفسِ هَـٰذا الْمعَنى .

- أَنَا لَسْـتُ عَالِماً فِي الدِّين وَلَـٰكِني أَعْتَقِدُ أَنّ الْكُتُبَ المقدَّسـةَ تَتحدثُ عَنْ شَـخصٍ وَاحـدٍ هُو فَرعـون مصرَ زَمـن نَبيّ الله مُوسَىٰ عليه السَّلامُ .

- عَلَيـكَ أَنْ تُبَرّهِـنَ يَا سَـيدُ عَلَىٰ مَا تَقُـولُ أَثَرِياً وَلَيـسَ دِينيّاً فَقَـطْ حَتَىٰ يَقْتَنـعَ بِكَلَامِكَ عُلَمَاءُ المصريـاتِ فِي الْغَربِ وَالشَّرقِ ، وَالدَّرَاسَـاتِ المصريّـةِ للْحَضَـارَةِ الْفُرْعونيّة مَا زَالـتْ بكراً ، أَعَانَكَ اللهُ عَـلَىٰ تَكْملَةِ الْمشْـوَارِ الذِّي بَدأنَاه فَـمَا زَالَ الْعُمرُ أَمَامكَ طَوِيلاً .

- بَـــارَكَ الله لَنا فِي عُمرِك يَا أُسْـــتَاذِي ، وســـنُكْمِلُ مَعاً الطَّرِيقَ الشَّـــاقَ الوَعِرَ حَتـــىٰ نتمكَّن مِنْ فَـــكِّ جَمِيع أَلْغَـــازِ الْحَضارةِ المصريّةِ الْقَدِيمةِ .

- أُسْتَاذِي .. أُسْـــتَاذِي .. !! أَلا تَكُفُّ عَنْ تَرديد هَـــذه الكَلِمةِ ؟! أَنْـــتَ أَخِـــي وَصَدِيقِي يَـــا سَـــيدُ ، وَأَنَا سَـــعَيدُ باهْتِمَامِك بِدرَاسَـــةِ عِلْم الْمصريّاتِ ، ولَنْ أَبْخَلَ عَلِيكَ بَـــأَي شَيءٍ أَتَوصّلُ إِلِيـــهِ فَالْعِلـــمُ رَحَـــمٌ بـــين أَهلِـــهِ . لَـــنْ أَكـــفَّ عَـــن تَرِدِيـــدي هذه الْكَلمةِ ، أَلَسْـــتَ أَنْتَ الذّي حبَّبتنِي فِي دِرَاسِـــةِ المصرِيّـــاتِ وَأَطْلعتنِـــي عَـــلَىٰ كل مـــا توصَّلـــت إليـــه فيها ، وأَمْددتنِي بكُل مَا أحتاج إليه في دراستها ؟

- لقـــد تأخَّرتُ ، ويبـــدو أن والدك لـــن يأتي ، بَلّغُـــهُ تحياتي ، ورغبتي في رؤيته .